« علمنا مضبوط بالكتاب والسُّنة ، ومن لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث فلم يتفقه فلا يقضى به »

الجنيد بن محمد البغدادي
(تاريخ بغداد ٧/٢٤١ - ٢٤٩)

التَّصَوُّف

في مِيزانِ البَحْثِ وَالتَّحقِيقِ

والرَّد على ابن عربي الصُّوفي في ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

جَمْع وَتأليف
الفقير إلى عفو الله تعالى
عبد القادر بن حبيب الله السِّندي
نزيل المدينة المنورة

توزيع
مكتبة ابن القيم ـ المدينة النبوية
ص . ب ٣٦١٥ ت ٨٣٨٨٠٠٩

قال ابن عساكر ــ فيما ورد فى هذا الكتاب ــ التبيين ــ على لسانه والله أعلم ــ سمعت الشيخ الفقيه الإمام أبا القاسم سعد بن على بن أبى القاسم بن أبى هريرة الاسفرائينى الصوفى الشافعى بدمشق ، قال : سمعت الشيخ الإمام الأوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح عامر بن نجام ابن عامر العربى الساوى بمكة حرسها الله ، يقول : دخلت المسجد الحرام يوم الأحد فيما بين الظهر والعصر الرابع عشر من شوال سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، وكان بى نوع تكسر ودوران رأس بحيث أنى لا أقدر أن أقف ، أو أجلس لشدة ما بى ، وكنت أطالب موضعا أستريح فيه ساعة على جنبى ، فرأيت باب بيت الجماعة للرباط الرامشطى عند باب العزورة مفتوحا ، فقصدته ، ودخلت فيه ووقعت على جنبى الأيمن بحذاء الكعبة المشرفة مفترشا يدى تحت خذى كيلا يأخذنى النوم ، فنقض طهارتى ، فإذا برجل من أهل البدعة معروف بها جاء ونشر مصلاه على باب ذلك البيت ، وأخرج لويحا من جيبه أظنه كان من الحجر ، وعليه كتابة ، فقبله ، ووضعه بين يديه ، وصلى صلاة طويلة مرسلا يديه فيها على عادتهم ، وكان يسجد على ذلك اللويح فى كل مرة ، فإذا فرغ من صلاته سجد عليه ، وأطال فيه وكان يمعك خده من الجانبين عليه ، يتضرع فى الدعاء ، ثم رفع رأسه ، وقبله ووضعه على عينيه ، ثم قبله ثانيا ، وأدخله فى جيبه كما كان ، قال : فلما رأيت ذلك كرهته ، واستوحشت منه ذلك ، وقلت فى نفسى : ليت كان رسول الله ﷺ حيا ، فيما بيننا ليخبرهم بسوء صنيعهم ، وما هم عليه من البدعة ، ومع هذا التفكر كنت اطرد النوم عن نفسى ، لكيلا يأخذنى فتفسد طهارتى ، فبينما أنا كذلك إذ طرأ على النعاس ، وغلبنى فكأنى بين اليقظة والمنام ، فرأيت عرصة واسعة فيها ناس كثيرون واقفين ، وفى يد كل واحد منهم كتاب مجلد قد تحلقوا كلهم على شخص فسألت الناس عن حالهم ، وعمن فى الحلقة ، قالوا : هو رسول الله ﷺ وهؤلاء أصحاب المذاهب ، يريدون أن يقرؤوا مذاهبهم واعتقادهم من كتبهم على رسول الله ﷺ ويصححوه عليه قال : فبينما أنا كذلك أنظر إلى القوم ، إذ جاء واحد من أهل الحلقة وبيده كتاب ، قيل : إن هذا الشافعى رضى الله عنه ، فدخل فى وسط الحلقة وسلم على رسول الله ﷺ قال : فرأيت رسول الله ﷺ فى جماله ، وكماله متلبسا بالثياب البيض المغسولة النظيفة من العمامة

والقميص ، وسائر الثياب على زى أهل التصوف فرد عليه الجواب ، ورحب به وقعد الشافعى بين يديه ، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده عليه ، وبعد ذلك جاء شخص آخر قيل : هو أبو حنيفة رضى الله عنه ، وبيده كتاب فسلم وقعد بجنب الشافعى وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده ، ثم أتى من بعده كل صاحب مذهب إلى أن لم يبق إلا القليل وكل من يقرأ يقعد بجنب الآخر ، فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفى يده كراريس غير مجلدة فيها ذكر عقائدهم الباطلة وصمم أن يدخل الحلقة ويقرأها على رسول الله ﷺ فخرج واحد ممن كان مع رسول الله ﷺ إليه وزجره وأخذ الكراريس من يده ، ورماها إلى خارج الحلقة وطرده ، وأهانه ، قال :

فلما رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقى أحد يقرأ عليه شيئا تقدمت قليلا ، وكان فى يدى كتاب مجلد ، فناديت ، وقلت : يارسول الله : هذا الكتاب معتقدى ومعتقد أهل السنة ، لو أذنت لى حتى اقرأه عليك فقال ﷺ : **وأى شىء ذاك** ، قلت : يارسول الله : هو قواعد العقائد الذى صنعه الغزالى ، فأذن لى فى القراءة فقعدت وابتدأت ، ثم قرأ هذا الكتاب حسب زعمه وهو طويل جدا وفيه كلمات غير شرعية ومنها : وأنه ــ أى الله ــ ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ومنها وإنه متملك آمر . ناه متوعد بكلام أزلى قديم ، قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث ، ولا بحرف ينقطع باطباق شفه ، وتحريك لسان ثم قال : وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ا هـ .

قلت : هكذا هذه الرؤيا المنامية(١) ، وقال هذا الرائى الذى لم أقف على ترجمته فى نهاية الرؤيا على لسان ابن عساكر إذ قال ص ٣٠٤ قال الشيخ الإمام أبو القاسم الاسفرائينى : هذا معنى ما حكى لى أبو الفتح الساوى انه رآه فى المنام لأنه حكاه لى بالفارسية وترجمته

---

(١) أنظر : « تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى » : (ص ٢٩٦ ــ ٣٠٦) .
(٢) ص : ٢٢٧ ــ ٦/٢٤٠ .

أنا بالعربية ثم قال : وتتمة الفصل الأول من فصول قواعد العقائد الذى يتم به الاعتقاد لم يتفق قراءته اياه على رسول الله ﷺ والمصلحة اثباته ليكون الاعتقاد تاما فى نفسه غير ناقص لمن أراد تحصيله ، وحفظه ثم ذكره بما يتعلق برسالة النبى ﷺ وقد نقل هذه الرؤيا المنامية الشيخ السبكى فى طبقاته الكبرى الشافعية[1] ، وقد عقد عليه عنواناً بقوله : ذكر المنام الذى أبصره الامام عامر السارى بمكة (٦/٢٢٧) ، ونقله أيضا الشيخ عبد الله بن سعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى المتوفى سنة ٧٦٨ فى مرآة الجنان وعبرة اليقظان[2] وكلهم نقلا عن كتاب التبيين لابن عساكر : دون تحقيق ولا تفتيش دقيق عما يلزم من ذلك القول الباطل على رسول الله ﷺ والبهتان العظيم على أنه التحق بالرفيق الأعلى ولم يكمل الله تعالى عليه الشريعة المطهرة حسب هذا الزعم الذى اعتقد بصحة وقوعه عدد كبير ممن لا علم بهم بقواعد الشريعة الإسلامية أصلا ودون النظر والتفكر والتدبر عما يلزم من ذلك فحرروا وضبطوا فى كتبهم هذه القصة المنامية التى رآها رجل عن رجل لم نقف على حالهم وظروفهم وعدالتهم وتوثيقهم من قبل أئمة النقاد وأصحاب الجرح والتعديل حسب القواعد الأصولية الفذة النادرة التى امتازت بها هذه الأمة المسلمة ولابد لى من دراسة جدية نشطة حول هذه الرؤيا المنامية الباطلة والتى توجد فى كتاب التبيين لابن عساكر وذلك فى ضوء القواعد الثابتة التحقيقية التى مارسها أسلافنا سلفا وخلفا فى مثل هذه الحالات الصعبة أمام من يجهل هذه الحقائق العلمية فى تحقيق الكتب القديمة المروية عن أصحابها المؤلفين مع وجود السماعات على طرقها وقد خفى هذا الموضوع تماما على اليافعى اليمنى إذ نقل هذه الحكاية فى كتابه المذكور دون تحقيق ولا تمحيص ولا عذر للسبكى لأنه سار على هذه الطريق منذ صغر سنه ولا يفكر ولا يتدبر فى نقل هذه الاكذوبات المخترعة المصنوعة وما يلزم من نقلها ووضعها فى كتبه كما صنع ذلك فى نقل الرؤيا المنامية فى طبقاته الكبرى والتى تتعلق بكتاب إحياء العلوم للغزالى وقد سبق ذكرها .

---

(١) ص : ٦/٢٤٠ .
(٢) ص : ١٨٧ - ٣/١٨٩ .

التحقيق فى نسبة كتاب التبيين لابن عساكر

وفى بداية الكتاب فى ص د : وجدت هذه العبارة فى الهامش ولعلها من قلم الكوثرى ، إذ قال عامله الله تعالى بما يستحقه : (من عادة الحشوية أن يترصدوا الفرص لافناء أمثال هذه الكتب ، إما بحرقها علانا ، يوم يكون لهم شوكة وسلطان ، أو بسرقتها من دور الكتب ، أو بوضع مواد متلفة فيها وأما تشويهها بطرح ما يخالف عقولهم منها عند نسخها ، أو بالكشط ، والشطب فى نسخها الأصلية ، وكتابنا هذا كان حظه من النوع الثالث من فنون إحتيالهم . ولكن أبى الله الا أن يظهر الحق ، فلم تأكل هذه المادة غير أوله) ا هـ .

قلت : هكذا هذه العبارة التى نطق بها هذا الرجل دون ذكر اسمه وقد وجدت العبارة الآتية وذلك فى ص هـ : (وهذا قد تفضل أستاذنا الكوثرى .. بتتويج هذا الكتاب بمقدمة حافلة وتذييله بتعليقات قيمة . تطلبتها بعض مواضع منه بعد أن أمرنى بدرس حياة المؤلف ونشر ما يتسع له المقام منها ، ومن الله التوفيق حسام الدين القدسى) ا هـ .

قلت : هذه العبارة تشعر وتنبىء بأن هذا الكتاب ـــ أعنى تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى حققه الشيخ محمد زاهد الكوثرى دون أن يذكر اسمه على طرة الكتاب حسب عادة المحققين ومهما يكن من أمر فانى أذكر ما فى هذا التحقيق من المغالطات القبيحة التى وقعت عنادا أو سهوا عن المحقق فى أثناء التحقيق لهذا الكتاب .

والملاحظات التى هى ضرورية جدا لدى كل من علم أو اشتغل أو مارس هذه المهنة ولو كان صح الكتاب ونسبته إلى ابن عساكر حسب التحقيق العلمى فلم يكن حينئذ حجة وبرهانا على ما فيه من الحكايات المنامية المنسوبة إلى رسول الله ﷺ من اقراره عليه الصلاة والسلام حسب هذه الرؤيا المنامية الجديدة التى سار عليها هؤلاء أصولا وفروعا وهى بعيدة كل البعد على ما أقره عليه الصلاة والسلام أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

٢ ـــ ثانياً أن السماعات التى وجدت على طرة الكتاب وقد وضع التصوير للصفحة الأخيرة فقد عليها العبارة وهى كالتالى (آخر كتاب كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام

أبى الحسن الأشعرى ، فرغ من كتبه لنفسه الفقير إلى ربه ، خادم السنة المحمدية عبد الله ابن يحيى بن أبى بكر بن يوسف بن محمد بن جيئون الجزائرى ، وذلك ليلة السبت ثامن من شعبان المكرم سنة سبع وسبعين وستمائة من أصل سماعى بقراءتى على الشيخ الصالح المسند المعمر ناصح الدين أبى الغيث فرج بن عبد الله الحبشى مولى الإمام أبى جعفر أحمد ابن على القرطبى رحمه الله بحق سماعه لجميعه عن الشيخ الإمام العالم الحافظ ، الثقة بهاء الدين أبى محمد القاسم بن الإمام الحافظ محى السنة ومحدث الشام أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى ، قال : أخبرنى والدى رحمه الله مشافهة ، وعرضا وذلك فى آخر يوم الخميس حادى وعشرين جمادى الآخر سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدار الحديث النورية بدمشق عمرها الله وكانت قراءتى على الشيخ ناصح الدين المذكور رحمه الله فى الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة وذلك فى دار الحديث الأشرفية داخل دمشق حرسها الله ، وصلى الله على سيدنا محمد عدد ... ا.هـ .

قلت : هكذا تجد هذا السماع مع ذكر اسم الناسخ الذى نقل إليه هذا الكتاب عن طريق شيخه ناصح الدين أبى الغيث فرج بن عبد الله الحبشى ، وكان يجب على الكوثرى أو القدسى أن يثبتا هذا السماع إلى المؤلف بذكر ترجمتين ضرورتين مع نقل التعديل والتوثيق فيهما من قبل المعاصرين الذين كانوا موضع عناية وعمل فى حفظ السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام .

١ ــ وهما ــ أولا : ترجمة عبد الله بن يحيى بن أبى بكر الجزائرى والذى انتهى إليه هذا الكتاب نسخا وسماعا .

٢ ــ ترجمة شيخه ناصح الدين أبى الغيث فرج بن عبد الله الحبشى ، وقد وجدت بقية التراجم لدينا ، وكان يجب عليهما حسب قواعد التحقيق أن يثبتا هذا السماع إلى ابن عساكر ولم نجد أى توقيع أو اسم على هذه السماعات التى أثبتت على طرة الكتاب ولعل كذابا مجهولا قد وضع هذا الكتاب وذكر هذه السماعات المصنوعة التى لا أساس لها الآن ونسب هذا الكتاب إلى ابن عساكر كما حصل لكتاب نهج البلاغة الذى نسب إلى على رضى الله عنه ظلما وبهتانا على يد على بن الحسين العلوى الذى قال فيه الذهبى[1]

(١) الميزان : (رقم الترجمة ٥٨٢٧ ، ص ٣/١٢٤) .

الحسينى الشريف المرتضى المتكلم الرافضى المعتزلى صاحب التصانيف ، حدث عن سهل الديباجى والمرزبانى وغيرهما ، وولى نقابة العلوية ، ومات سنة ٤٣٦ هـ عن إحدى وثمانين سنة وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة ، وله مشاركة قوية فى العلوم ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ففيه السب الصراح والحط على السيدين ، أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل ا. هـ .

قلت : هذا كلام الذهبى وهو كلام رصين جيد مفيد فإنى احلف بالله تعالى بأن كتاب تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى أكثره باطل كما قال الذهبى فى حق نهج البلاغة ، وقال الحافظ فى اللسان(١) حول كلام الذهبى هذا بعد نقله : وقال ابن حزم كان من كبار المعتزلة الدعاة ، وكان إماميا لكنه يكفر من زعم أن القرآن بدل ، أو زيد فيه ، أو نقص منه ثم أطال فيه الحافظ كلاما طويلا نقلا عن معاصريه وعن غيرهم والمقصود من ايراد هذه العبارة هنا هو اثبات أن الكتب قد توضع من قبل الزنادقة الكذابين لتقوية مذهبهم الباطل ومن هنا أقول أن هذا الكتاب الذى بين يدى هو بتحقيق الكوثرى وهو تبيين كذب المفترى هو من وضع الكذابين لعدة وجوه :

١ ــ الوجه الأول كما مضى لم أقف على ترجمتين :

١ ــ ناسخ الكتاب وترجمة الراوى عنه مع بحث دقيق وتعب شديد فى المراجع والمصادر التى بين يدى ، ولست أدرى كيف وهما بهذه المنزلة العلمية برواية هذا الكتاب الذى يؤيد موقف أهل الباطل ولو عن طريق الرؤيا المنامية .

٢ ــ عدم وجود توقيع المصنف وابنه والراوى عنه إلى أن انتهى الكتاب إلى الناسخ .

(١) اللسان : (ص ٢٢٣ ــ ٤/٢٢٥) .

٣ ـــ قول ابن عساكر حسب زعم الكتاب : سمعت الشيخ الفقيه الإمام أبا القاسم سعد بن على بن أبى القاسم بن أبى هريرة الاسفرائينى الصوفى الشافعى بدمشق ا هـ .

أين ترجمة هذا الصوفى ولم أقف عليه فى تاريخ دمشق لابن عساكر ولا فى طبقات السبكى الكبرى ولا ذكر له إلا فى أثناء سوق هذه الحكاية وكذا لم أقف عليه فى طبقات الأسنوى للشافعية ولا فى المرآة لليافعى ، ولم يذكره الذهبى فى جميع كتبه التى بين يدى من العبر والسير والدول والميزان وديوان الضعفاء والمغنى وغيرها ولا ترجمة الشيخ الأوحد زين القراء جمال الحرم أبى الفتح عامر بن نحام بن عامر العربى الساوى كما جاءت هذه الأوصاف فى التبيين ولم يذكره العلامة الفاسى فى العقد الثمين فى تاريخ البلد الآمين مع بحث طويل دقيق وهو الذى صاحب المنام وينبغى أن يموت هذا الرجل قبل ابن عساكر أو يكون معاصرا له على أقل تقدير وكل هذه الأمور لا تزال فى علم الغيب والمحقق لم يعمل شيئا فى هذه المواضع الحساسة إلا قوله فى الهامش : إذ قال : حدثنا بهذه الحكاية الشيخ الإمام أبو جعفر أحمد بن أبى بكر القرطبى قال : سمعت الشيخ أبا الفتح عامر بن نحام وذلك بحضرة شيخنا أبى محمد القاسم فى حين سماعنا لهذا الكتاب عليه ومن أثبت اسمه فى السماع سمعها من لفظ الشيخ أبى جعفر هكذا فى هامش الأصل .

قلت : هذا لا يكفى ولا يشفى فى إثبات الكتاب عن ابن عساكر ولابد من وجود الأشياء المطلوبة الضرورية فى مثل هذه الحالات ـــ وقد وجد تناقض خطير جدا وهو يدل على جهل المحقق أو كذبه وفى كلا الأمرين حط على علمه وتحقيقه لأن هذه العبارة التى نقلها المحقق فى الهامش هنا فى ص ٢٩٦ ـــ ٢٩٧ : متناقضة تماما : لأن فى الأصل هكذا :

يقول ابن عساكر سمعت الشيخ أبا القاسم سعد بن على بن أبى القاسم بن أبى هريرة الاسفرائينى الصوفى الشافعى بدمشق قال : سمعت الشيخ الإمام الأوحد زين القراء جمال الحرام أبا الفتح عامر بن نحام بن عامر العربى الساوى بمكة ثم ذكر هذا الأخير الرؤيا المنامية .

وأما فى الهامش فكما نقلت لك : قوله ـــ حدثنا بهذه الحكاية الشيخ الإمام أبو جعفر

أحمد بن أبى بكر القرطبى قال : سمعت الشيخ أبا الفتح عامر بن نحام الخ ، وكيف يستقيم هذا الموضوع بهذا السماع مع أنه ذكر ونقل السماع بطريق آخر ؟ مهما يكن من أمر ، فإن وجود ترجمة الناسخ وترجمة شيخه أبى الغيث مع وجود التعديل والتوثيق فيهما من المعاصرين الثقات العدول لابد منه وكذا وجود توقيعات المشايخ المجيزين لهذا الكتاب لمن روى عنهم لابد منها وثم وجود التوثيق والتعديل فى شيخ ابن عساكر وشيخ شيخه صاحب القصة لابد من وجود هذا الشيء فإذا ثبت هذا علميا فيجوز أن يقال أن ابن عساكر كان مخرفا بعيدا عن قواعد الشريعة الغراء والتى وضعها المحدثون القدماء بالممارسة العلمية النادرة الفذة ويقال أيضا بعد ثبوت وصحة نسبة هذا الكتاب عن طريق الثقات بأن الأحكام الشرعية لا تثبت عن طريق هذه المنامات المخالفة لشريعة كاملة ومكملة بقواعدها وأصولها التى أقرها القرآن والسنة وإجماع الأمة سلفا وخلفا ، وان هذه المنامات التى فيها أكثر الباطل كقول النحام عندما قرأ عقيدة الغزالى فى نومه على رسول الله ﷺ حسب زعمه أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، وهو كلام ليس له حرف ولا صوت وهو كلام نفسى حسب زعم هؤلاء فى عقيدتهم الباطلة ثم يقره ﷺ عليهما كما ورد فى هذه الرؤيا وهذه العقيدة التى ينادى بها الكوثرى مرة تلو المرة كما ورد ذكرها فى تعليقه على الأسماء والصفات للبيهقى[1] ، «وفى شعب الإيمان» : ان كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت والكلام الحقيقى هو كلام النفس ، فالأصوات والحروف إنما وضعت دلالات على كلام النفس ومن قلت له : اكتب أرضا ، أو فرسا ، أو آدميا ، فكتب الذى أمليت عليه فى ورقة ، أو لوح ثم زعم أن الأرض والسماء والفرس هو المكتوب فى الورقة فاقطع طمعك عن عقله ، واقض بحماقته ، ومن زعم أن حركة شفته أو صوته ، أو كتابته بيده فى الورقة هو عن كلام الله القائم بذاته فقد زعم أن صفة الله قد حلت بذاته ومست جوارحه ، وسكت قلبه ، وأى فرق بين من يقول هذا وبين من يزعم من النصارى أن الكلمة اتحدت بعيسى عليه السلام ا.هـ .

---

(١) الأسماء والصفات : (ص ٢٥٥) .